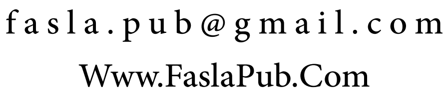
عروسة النيل

محمد السعيد جمعه

عروسة النيل
محمد السعيد جمعه
تدقيق لغوي : عبد الله ابو الوفا
تصميم الغلاف : عبير محمد
رقم ايداع : ٢٠٢٠/٣٤٢٧
ترقيم دولي : ٩٧٨-٩٧٧-٦٥٩٤-٨٣-٨



دار فصلة للنشر والتوزيع
العزيزيه - منيا القمح - مصر
٠٠٢٠١٠٦٧٠٠٠٧٠١



الطبعه الأولي يناير ٢٠٢٠



عروسة النيل

محمد السعيد جمعه



أنا لما عشت الحلم

لقيت في الطريق مليون جدار

ومن يوميها وأنا حمّال هموم

في النهار..دوّار

وفى ليلي غربة وانتظار

ساعة الفرحة.. تهرب ضحكتي

وساعة الحزن.. وِحدة وانكسار

محمد السعيد جمعة

إهداء

إلى الباحثين عن الحقيقة بين ركام

الأحاديث المتناقضة.

الفصل الأول

ـ صفاء ـ



تقول الحاجة سماح إن زوجها الشيخ عبد الرحمن–رحمة الله عليه– كان عائدًا من صلاة الفجر فى الجامع القديم فسمع صوتًا، يشبه آذان الصلاة فى الحرم، يناديه ويدعوه أن يذهب إلى شاطئ النيل، فتعجب الشيخ عبد الرحمن من هذا الصوت الندى الذى ينساب مُسترسِلًا فى عذوبة كالآذان ذاكرًا اسمه يطلب منه أن يسرع إلى الشاطئ!

وتقول الحاجة سماح إن زوجها الشيخ عبد الرحمن استجاب لنداء الداعى وأسرع الخطى قاصدًا شاطئ النيل وكان قريبًا، وهناك رأى طفلةً جميلة تسبح فى النيل بالقرب من الشاطئ، وعندما اقترب منها نظرت إليه بعينيها الساحرتين ثم أشرقت ابتسامتها الرائعة وهى تمد يدها إليه فأمسك بها وجذبها من النهر.

كانت الطفلة الصغيرة التى لم تتجاوز عامها الأول عارية؛ فوضعها الشيخ فى عباءته الخضراء وعاد بها إلى البيت وهى باسمة الوجه جميلة العينين. نهضت الحاجة سماح من نومها وانطلق لسانها عندما رأتها وأخذت تردد: "الله أكبر"، "بسم الله ما شاء الله"، "بسم الله ما شاء الله"، ثم سألته: "مين دى يا شيخ عبد الرحمن؟"

فقال لها بعد أن سبّح الله العلى القدير: "إنها طفلة التقطتها من النيل"، وقصّ عليها الحكاية من أولها، فوضعت الحاجة سماح يدها اليمنى على صدرها وظلت تُسبِّح الله، ثم أقبلت عليه مُتلهِفة وتناولتها من بين يديه وهى تُكَبِّر وتُسبِّح الله، وبعد أن ضمَّتها إلى صدرها، قالت له: "دى صفاء بإذن الله". فضحك الشيخ وقال لها: "على بركة الله، تبقى صفاء يا حاجة"، ثم داعبها قائلًا: "كان نفسك فى بنت من زمان يا حاجة، والحمد لله ربنا رزقك بأحلى بنت فى الدنيا كلها".

ضحكت الحاجة سماح وأخذت تقبل صفاء وتُقرِّبُها من صدرها وكأنها تُعيد جزءًا منها إلى مكانه، تُقسِم الحاجة سماح على أن الخير قد غمرهم منذ دخولها البيت، وتقسم أن المتخاصمين من أهل المدينة تناسوا ما بينهم من خصومات قديمة منذ أن حلت بركات صفاء فى مدينتهم! وتقول إن عائلة أبو صابر الشهيرة قبِلت الصلح مع عائلة الجبلاوى،

وتراجع عبد المجيد أبو صابر عن عزمه الثأر لدم شقيقه الذى قتله عبده الجبلاوى على مرأى ومسمع من أهل المنطقة فى السوق القديم.
والعجيب فى الأمر أن عبده الجبلاوى كان قد حمل كفنه فوق كفيه مُتجهًا إلى عائلة أبو صابر راغبًا فى الصلح معهم، فالتقى فى منتصف الطريق بعبد الحميد أبو صابر الذى كان مُتجهًا فى الوقت نفسه إلى عائلة الجبلاوى ليُخبرَهم بالصفح والتسامح ونسيان الثأر.
وتقول الحاجة سماح إنهما تعانقا واختلطت دموعهما، ولم يعد بينهما منذ تلك الليلة إلا المحبة والمودة والصفاء وحُسن الجوار.
ثم تواترت أحاديث فى المدينة عن أن صفاء تلك الطفلة الجميلة فيها سرٌ لا يعلمه إلا الله، والدليل كما يرى جميع الناس أن الأمور فى المدينة قد تغيرت كُلُّها إلى الأحسن، وتمتع الجميع بطيب العيش وراحة البال وصفاء القلب منذ مجيئها إلى مدينتهم.
وإن كان الجميع قد اتفقوا حول كرامات صفاء وبركتها التى حلَّت عليهم إلا أنهم اختلفوا حول كيفية مجيئها وشغلوا أنفسهم بالبحث عن أصلها وحقيقتها!
ولأن الناس فى تلك المدينة لديهم تقاليدهم المُتوارَثة فى مثل تلك الأمور الخلافية؛ تعددت الروايات وتباينت الأحاديث و لم تكن رواية

الحاجة سماح عن زوجها الشيخ عبد الرحمن هى الرواية الوحيدة عن صفاء، فهناك رواية أخرى يرويها بعض أهل المدينة على استحياء وهى أن حقيقة صفاء التى لا يعرفها أحد أنها ابنة الشيخ عبد الرحمن من زوجته الثانية لواحظ، التى كان يلتقى بها فى كوخ متواضع على شاطئ النيل، ويُقال إنها قد توفّاها الله فجأة بعد أن أنجبت صفاء بعدة أشهر، ولأن الشيخ كان قد تزوجها سرًا دون علم زوجته الأولى الحاجة سماح، فما كان منه بعد وفاتها إلا أن يحمل ابنته منها ويذهب بها إلى زوجته الأولى زاعمًا أنه التقطها من قلب النيل!

وتعددت الروايات التى قيلت عن صفاء بعد ذلك، واختلفت أشد الاختلاف، فالبعض يزعم أنها عروسة النيل خرجت من النهر لتعيش بينهم وتمنحهم البركة، والبعض الآخر يعتقد أنها لقيطة تم العثور عليها أمام الجامع الكبير بعد الصلاة، وآخرون يرون أنها طفلة عادية التقطها الشيخ عبدالرحمن من النيل عند الفجر، والبعض يردد على استحياء أنها ابنة الشيخ من زوجته الثانية التى تزوجها سرًا، ولعل أغرب الروايات هى تلك الرواية التى يُرجّح أصحابها أن تلك الطفلة ما هى إلا جنيّة تنتمى إلى فصيلة صالحة من فصائل الجن المؤمن الذين يتخذون من أعماق النيل مأوى لهم منذ أيام سيدنا سليمان عليه السلام، وأنها قد

استهوتها حياة الآدميين فتشكلت فى صورة طفلة جميلة حتى تضمن لنفسها حياة آمنة بين أهل المدينة!

والأغرب من تلك الرواية ما يردده بعض الخبثاء وسيئوا الظن من أنها جنيّة لكن من الجن السُفلى الكافر، وأنها تشكلت فى صورة طفلة جميلة على يد ساحرٍ شرير يُدّبرُ لخراب المدينة!

ورغم تلك الروايات العجيبة والمتناقضة، إلا أن معظم أهل المدينة قد اتفقوا على أن الله سبحانه قد جعل صفاء سبب ما هم فيه من سعادة، وسر ما بينهم من مودة ووئام رغم ما فى حياتهم من هموم ومنغصات، فمنذ وجودها فى بيت الشيخ عبد الرحمن حلّت البركة وعمّ الخير والصفاء.

هكذا صارت لصفاء مكانة خاصة فى قلوب أهل المدينة الطيبين، فالجميع يحبونها ويستبشرون بها خيرًا.

الفصل الثاني

ـ سبحان مقسم الأرزاق ـ

يُروى أن تجار المدينة كانوا يحرصون على رؤية تلك الطفلة الجميلة كل صباح بل يتسابقون إلى إرضائها، ويعتقدون أن من رآها فى الصباح ربحت تجارته، ولن ينسى أهل الحارة ما حدث لسعيد الصياد بسبب أسرار بركة صفاء، فلقد تحول من مجرد صياد فقير بشَعره الأشعث وملابسه الرثة إلى أكبر الأثرياء فى المدينة! يَروى أهل المدينة أن سعيد الصياد اعتاد التبكير إلى سعيه، وكان يُلقى شباكه قانعًا بما يرزقه الله به من خير يكفيه بالكاد لمتطلبات حياته ونفقات معيشة أسرته الصغيرة، وفى أحد الأيام بكّر كعادته قاصدًا الشاطئ وفى طريقه إلى هناك وجد تلك الطفلة الجميلة صفاء تجلس باسمة الوجه على ناصية

الحارة بالقرب من بيت الشيخ عبد الرحمن، فاستبشر برؤيتها خيرًا وجرى إليها فحملها وضمها إلى صدره وقبّلها، فإذا بها تلح عليه أن يأخذها معه فتهلل وجهه فرحًا.

يروى أهل المدينة أن سعيد الصياد أكرمه الله فى ذلك اليوم بثروة لم يكن يحلم بها ولم تخطر له على بال.

يقول أحد الصيادين إنه رأى صفاء واقفة إلى جوار سعيد الصياد وهو يلقى شباكه وعلى وجهها ابتسامة تضاهى ابتسامة شمس الصباح التى أشرقت عليهم مصحوبة بنسمات الربيع المُعطّرة بأريج الورود والرياحين، وبعد لحظات قليلة جذب سعيد شباكه من الماء، وسمعه الصيادون وهو يحمد الله ويُكبّر ويرفع يديه إلى السماء شاكرًا ربه وإلى جواره صفاء تملأ ابتسامتها الساحرة المكان بهجةً وسرورًا.

ويقولون إنه لملم شِباكه وأسرع عائدًا إلى بيته؛ فاحتاروا كثيرًا فى أمره وتمنوا أن يعرفوا ذلك الشيء الذى أكرمه الله به فى ذلك الصباح، ويقال إنهم عرفوا بعد ذلك أنه عندما جذب شباكه من الماء وجد فيها صندوقًا مليئًا بسبائك الذهب يبدو أنه قد سقط من إحدى السفن القديمة التى نسمع عنها فى الحكايات والأساطير القديمة.

وسبحان الله منذ ذلك اليوم تحول سعيد الصياد من إنسان كادح يصارع

أمواج البحر وأمواج الحياة بحثًا عن رزقه إلى أكبر أثرياء المدينة.

يروى أهل المدينة أنه أنشأ فى البداية"شركة الصياد" للتصدير والاستيراد، ثم توالت شركاته العملاقة فى مجالات عديدة مُربِحة فازداد ثراؤه وذاع صيته، وجعله الله سببًا فى توفير فرص عملٍ عديدة لأهل المدينة وشبابها.

وهكذا عمَّ الخير والرخاء وظهرت السعادة على الوجوه.

الفصل الثالث

ـ بركات صفاء ـ

وبسبب بركات صفاء كانت الحياة هادئة فى تلك المدينة الجميلة التى تبدو على ضفاف النيل الخالد كالعذراء فى خِدرها، رغم كل يعانيه الناس فيها من صخب ومشاق.

وعاش الناس من أهل بلدتنا الطيبون قانعين مستمتعين بحياتهم فى حدود ما يتاح لهم من متع زهيدة، فكان الواحد منهم يضحك من أعماقه راضيًا وهو يتناول وجبة رخيصة جدًا من الطعام، ويمكنك أن ترى ملامحه الدالة على الاستمتاع بما يأكل، ثم يُقبّل كفه من الجهتين مرددًا:"وأقل من كده رضا".

وانتشرت بين أهل مدينتنا الطيبين حينها عادات وتقاليد توارثتها

الأجيال منها: الشغف الشديد بسهراتهم مع حفلات كوكب الشرق أم كلثوم، والاستمتاع بصوت العندليب عبد الحليم حافظ، وروائع عبد الوهاب وفريد الأطرش، ومنهم من حلّق هائمًا مع جارة القمر فيروز وهى تشدو بصوتها الملائكى على نغمات الرحبانية الساحرة، وكان شباب المدينة يذهبون ويجيئون معًا فى مرح ومحبة ووئام فلا تلاحظ عليهم أى شىء يعكر صفو الحياة رغم ما بينهم من تنافس شريف فى مجالات حياتهم المختلفة.

يُقال إن بركات صفاء التى حلّت على المدينة كان لها أعظم الأثر على مشاعرهم التى سمت فوق كل الخلافات.

يقول العم إمام الراوى أحد أعيان المدينة: إن أهل تلك المنطقة السكنية على ضفاف النيل أحبوا صفاء وأكرموا نُزُلَها بينهم، ولأن فيها سرًا من أسرار الله فى خلقه أكرمهم الله لأنهم أكرموها فكانوا جميعًا كأسرة واحدة، ليس فى صلة القرابة والنسب، بل فى كل طقوس الحياة بأفراحها وأحزانها، فكنت تراهم معًا فى الأعراس والمآتم بل فى كل المناسبات، وحتى عند تناول الطعام فى ليالى الصيف أمام بيوتهم المتواضعة، وفى جلسات السمر على ضوء القمر الساطع.

أذكر أن أهل بلدنا كانوا يتبادلون الزيارات فى ليالى الصيف الساحرة

فتدور بينهم الأحاديث الودية وتطول بهم السهرات مع الحكايات واستعادة الذكريات الجميلة حتى يصافح أسماعهم صوت قرآن الفجر ينساب بين سكون الليل.

وفى ليالى الشتاء كان الجيران يهربون من البرد القارس فيتجمعون فى مكان واحد ينعمون فيه بدفء المشاعر وسحر الأحاديث.

كانوا جميعًا وخصوصًا البسطاء الطيبين من أهل المدينة على قناعة تامة بأن ما هم فيه من سعادة وما بينهم من مودة يرجع إلى بركات صفاء، تلك الفتاة الجميلة التى تعيش بينهم منذ نعومة أظافرها والتى جعل الله لهم فيها سرًا من أسرار كرمه ورحمته.

الفصل الرابع

ـ عروسة النيل ـ

وهكذا كان الطيبون من أهل مدينتا يروون عنها روايات أشبه ما تكون بالأساطير القديمة وحكايات ألف ليلة وليلة.

إنها صفاء صاحبة العينين الصافيتين والوجه المشرق الجميل الباسم، ولأنها أيقونة المحبة والسعادة والوئام فى المدينة فقد كثرت عنها الأحاديث وتنوعت الروايات، ولم يكتفِ الناس بما قيل عنها من أحاديث وروايات منذ ظهورها فى بيت الشيخ عبد الرحمن، ولكنهم زادوا وأعادوا فى أسمارهم عنها وعن أصلها وأسرار بركاتها التى غمرتهم وأسعدت قلوبهم.

وترددت على ألسنة أهل المدينة تلك الرواية التى تؤكد أن صفاء ما

هى إلا عروسة النيل، ولكنهم أضافوا إليها أسرارًا جديدة من وحى خيالهم عندما يقضون ليالى الصيف فى أسمارهم على الشاطئ، فرجّحوا أن عروسة النيل صفاء كانت تعيش فى أعماق النهر الخالد كغيرها من الجنيّات وعرائس البحر، وكل ما حدث أنها خرجت إلى الشاطئ تتنسم هواء الفجر المنعش على شاطئ النيل فى مدينتنا؛ فرآها رجلٌ طيب من أهل المدينة فخلبت عقله بجمالها وصفاء عينيها؛ فاقترب منها وهو يقرأ بعض التعاويذ القديمة فنظرت إليه بعينيها الساحرتين وأشرقت ابتسامتها فأضاءت وجهها الجميل أكثر، ثم وضعت يدها فى يده وخرجت من النيل تُلملِم شعرها الذهبى لتمضى معه، ومنذ تلك اللحظة لم تستطع صفاء أو عروسة النيل كما يعتقد البعض أن تعود إلى حياتها تحت سطح الماء فى أعماق النهر مع غيرها من الجنيات وعرائس البحر.

يقول سكان البيوت المطلة على النيل إنهم شاهدوها بأعينهم تمضى طائعة مبتسمة برفقة الرجل الطيب الذى رآها وقرأ عليها التعاويذ.

البعض منهم يقول إن ذلك الرجل الطيب هو الشيخ عبد الرحمن، والبعض الآخر يقول إنه رجل غيره من أولئك الأتقياء الأنقياء الذين لا يحبون الظهور، ورغم اختلافهم حول الرجل الطيب الذى قرأ عليها التعاويذ

إلا أنهم اتفقوا حول بركات صفاء التى غمرتهم، فمن يوم وجودها بينهم حلت البركة فعمت السعادة وعاش أهل المدينة فى محبة وصفاء، فلم يكن هناك إنسان يحمل الضغينة للآخر، وكان الجميع ينامون وقلوبهم مليئة بالمحبة والرضا والصفاء.

ويبقى الأمر المحير حقًا رغم أنه صار مألوفًا فى عُرفِ مدينتنا وهو استرجاع بعض الروايات القديمة كما هى حينًا وإضافة الجديد إليها أحيانًا! فهناك أناس ينكرون رواية عروس النيل التى صدّقوها فى حينها، بل ينكرون كل الروايات التى رددّوها أو رددّها غيرهم من أهل المدينة، وأصحاب هذا الاتجاه تعمدوا إحياء الرواية التى تُرجِح أن صفاء ما هى إلا طفلة لقيطة وجدها الشيخ عبد الرحمن أمام الجامع القديم بعد صلاة الفجر، فحملها فى عباءته وأخذها إلى بيته وهى طفلة رضيعة باسمة الوجه جميلة العينين، وتكفل برعايتها هو والحاجة سماح زوجته، ويقولون إن الشيخ عبد الرحمن أخفى سرها ولم يشأ أن يسبب لها ما يجرح مشاعرها المرهفة إذا عرفت أنها فى الأصل طفلة لقيطة، فكان يعطف عليها ويكرمها وكانت زوجته تعاملها كابنتها فعمّ الخير والرزق الوفير بيت الشيخ عبد الرحمن منذ مجيئها إليه، وعمّت السعادة المدينة وغمرها الخير وامتلأت قلوب الناس بالمحبة

والتسامح والصفاء، وهكذا تعددت الروايات عن صفاء التى جعلها الله سبحانه وتعالى أيقونة المحبة والخير والسعادة فى تلك المدينة على ضفاف النيل.

ورغم كل ما قيل عن صفاء من روايات فإن أكثر الروايات التى يرددها أهل القرية هى رواية الحاجة سماح زوجة الشيخ عبد الرحمن، تلك الرواية التى تؤكد أنها طفلة جميلة التقطها الشيخ عبد الرحمن من النيل بعد صلاة الفجر.

وعلى كل حال يقول العم إمام الراوى إن أهل المدينة رغم ما بينهم من اختلافات فى تفسير حقيقة صفاء إلا أنهم تناسوا ذلك تمامًا.

واكتفوا بما بينهم من توافق ومودة فى أمور أخرى كثيرة تقرب بينهم، وهكذا مرت على المدينة أيام جميلة وكبرت صفاء وازداد تعلق الناس بها وتواترت روايات الكبار والصغار عنها وعن قصة مجيئها إلى المدينة.

ورغم أنهم اختلفوا حول حقيقتها وبداية وجودها فى مدينتهم إلا أنهم اتفقوا جميعًا فى أنها سر سعادتهم، فكان الأغنياء يدركون أنها سبب ما هم فيه من الثراء والنعم، وكان الفقراء يعلمون أن ما هم فيه من راحة البال رغم ضيق ذات اليد ما هو إلا أثر من فيض جمالها وحلاوة ابتسامتها.

فصارت صفاء أيقونة السعادة فى المدينة، وفتاة الأحلام التى يعشقها جميع شباب المدينة من المراهقين، بل من أصحاب العقول الناضجة. حتى الكهول فى المدينة، كثيرون منهم شُغِفوا بها حُبًا!

الفصل الخامس

ـ خُطّاب صفاء ـ

ومن أغرب الأخبار التى رواها العم إمام الراوى خبر خُطّاب صفاء، يقول: "إن الشيخ عبد الرحمن استقبل ثلاثة من أهل المدينة فى يوم واحد جاءوا لغرض واحد وهو طلب يد صفاء، أولهم هشام بن عبد المجيد أبو صابر، وهو شاب فى العشرين من عمره فُتِنَ بصفاء وجاء يطلب يدها من الشيخ عبد الرحمن، أما ثانى الخُطّاب فهو المعلم عبده الجبلاوى الجزار، وهو رجل تجاوز الأربعين، والجميع يعلمون أنه على ذمته اثنتين من الزوجات وعنده من الأولاد سبعة!"، يقول العم إمام: "احتار الشيخ عبد الرحمن فى أمره، هل يُزوجها لهشام لكونه شابًا مقاربًا لها فى السن؟ أم يزوجها للمعلم عبده الجزار؟

وكانت قد وقعت مشادة كلامية ساخنة بين هشام أبو صابر وعبده الجبلاوى وكأنهما تذكرا ما بين العائلتين من خلاف قديم تظاهرا بنسيانه بسبب ما أضفته صفاء على المدينة وأهلها من تسامح، ولكنهما الآن استعادا ذكريات الدم والعداء بسبب رغبة كل منهما أن يستحوذ على صفاء لنفسه دون غيره، فكلاهما يريد أن يتزوجها ويرى نفسه أنه الجدير بها دون أى شخصٍ آخر!

فهشام يسخر من جهل عبده الجبلاوى وكِبَر سنه، وعبده الجبلاوى يسخر من فقر هشام وعدم خبرته بالحياة!

ولم يكن الشيخ عبد الرحمن مقتنعًا بأيٍ منهما، فكلاهما طامع فى صفاء لنفسه، ومن يدرى ربما لو تزوجت صفاء يصير كل الخير لزوجها وذريتها ويُحرَم منه أهل المدينة! ولذا لم يُعط الشيخ عبدالرحمن أيهما وعدًا بالزواج من صفاء، واكتفى فقط بمحاولة الإصلاح بينهما حتى لا يعود شبح الثأر البغيض.

ثم ازدادت حيرة الشيخ عبد الرحمن وبلغت الدهشة أقصاها عندما جاءه ثالث الخطاب فى اليوم نفسه مُحمّلًا بالهدايا الثمينة من ذهب وفضة وملابس، وسبب العجب والدهشة أن ذلك الخاطب ما هو إلا الحاج عثمان والد المليونير سعيد الصياد، ذلك الشيخ الذى تجاوز

السبعين والذى خدعته أموال ولده سعيد فجعلته يتصرف وكأنه شاب فى العشرين!

ويبدو أن الشيخ عبد الرحمن تلعثم كثيرًا ولم يُحسِن الرد على طلب الحاج عثمان الذى جاءه طالبًا الزواج من تلك الصبية الحسناء صفاء، فقد علا صوت الحاج عثمان بالتوبيخ والاتهامات، واتهم الشيخ عبد الرحمن بأنه يريد أن يستخلص صفاء لنفسه فقط، بل صاح فى وجهه قائلًا:

"إن كنت قد تزوجتها سرًا يا عبد الرحمن سأعرف وسوف أفضحك أمام الجميع!"

تغير وجه الشيخ عبد الرحمن وانطلق لسانه:"اتق الله يا عثمان، أحنا كبرنا على الحاجات دى"، وظل يرددها حتى انصرف الحاج عثمان من أمامه يلوح بيديه ويتمتم بكلمات تنم عن غضبه واتهامه للشيخ عبد الرحمن.

ومرت أيام خيّم فيها الخلاف بظلاله الكئيبة على المدينة، وردد الناس فى مجالسهم ما حدث فى بيت الشيخ عبد الرحمن وتعجبوا من رغبة عبده الجبلاوى فى الزواج من صفاء، وتعجبوا أكثر من تفكير الحاج عثمان فى أن يتزوج فتاة فى عمر أحفاده، واختلفوا كثيرًا حول إقدام

هشام أبو صابر على طلبها للزواج، فمنهم من يرى أنه شاب فقير لا يستطيع أن يوفى بنفقات الزواج من جميلة الجميلات صفاء، وآخرون يرون أنه جدير بها، وقسم آخر من شباب المدينة يرى كلٌ منهم نفسه أحق بصفاء من أى شخص آخر!»

الفصل السادس

ـ قال الراوي ـ

يقول العم إمام الراوى إن المدينة عرفت فى تلك الفترة صراعًا بين شباب المدينة وكهولها للوصول إلى قلب صفاء، ويمكنك أن تلمس بنفسك تَغيّرًا كبيرًا ظهرت آثاره واضحة فى أحاديثهم ومواقفهم بل فى ملابسهم وطريقة مِشيتهم وتصفيف شعورهم!

فهؤلاء أطلقوا شعورهم مسترسلة كالنساء لا لشىء إلا للفت أنظار صفاء، وأولئك لم يكتفوا بإطلاق شعورهم خلف ظهورهم وإنما عقدوها برباط ملون لعلهم يُعجبون صفاء! وآخرون أطلقوا لحاهم وغيرهم أطلقوا شواربهم، وشباب ارتدوا السراويل الممزقة، وكهول صبغوا شيبهم بالسواد، وكبار تصابوا وصغار شاخوا، وليس هذا

فحسب، فكم من أصلع وضع شعرًا مستعارًا، وكم من كثيف الشعر تظاهر بالصلع، وكم من فقير تظاهر بالغنى والثراء، فحمّل نفسه وأهله ما لا يُطاق، وكم من ثرى أنفق ببذخ هنا وهناك دون حساب؛ كل هذا وأكثر حدث بين أهل المدينة من أجل التنافس على صفاء!

ويبدو أن صفاء لم تكن راضية عن كل ما يحدث فى المدينة، فقد لاحظ الشيخ عبد الرحمن ميلها للعزلة كما لاحظت الحاجة سماح تغيُّرًا فى لون بشرتها التى بدأت تميل إلى الشحوب، ولم تعد ضحكاتها تجلل كما كانت!

خشى الشيخ وزوجته من زوال النعمة فبالغا فى إكرام صفاء وتفاديا الدخول فى نقاشات حادة أمامها، لأن التجربة علمتهما أن صفاء تقل بركة أسرارها على المكان كلما حدثت خلافات، حتى لو كانت تلك الحوارات الزوجية المليئة باللوم والتأنيب، والتى غالبًا ما تتضمن توبيخًا لاذعًا للطرف الثانى!

يقول العم إمام الراوى إن الشيخ عبد الرحمن ساءت أحواله الصحية والنفسية بسبب ما أشاعه الحاج عثمان من افتراءات فى حقه، وخصوصًا عندما تهامس الناس بأنه لا يريد أن يُزَوِّج صفاء لأحد لأنه استخلصها لنفسه دون زواج أو لعله تزوجها سرًا!

وعندما زادت الأقاويل عنه وعنها بات ليلته غاضبًا وقبل الفجر بوقت قليل سمع صوتًا يشبه صوت المؤذن فى الحرم يناديه فى نغمة تشبه ترديد الآذان، فنهض من نومه مسرعًا فإذا بالمنادى يقول وكأنه يردد آذان الفجر:"الصفاء يأتى بعد الموت، الصفاء يأتى بعد الموت"، لم يتبين الشيخ عبد الرحمن ما يقوله المؤذن، هل يقول:"الصلاة خير من النوم"، أم يقول:"الصفاء يأتى بعد الموت"؟، وعندما حاول أن ينهض من فراشه اهتزت الأرض تحت قدميه وتصبب عرقًا والمكان يدور من حوله،"أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله"، رددها الشيخ عبد الرحمن وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة، وبعد دقائق قليلة وجدته زوجته الحاجة سماح مستلقيًا على ظهره فوق السرير، فحاولت إيقاظه ليلحق بصلاة الفجر وعندما لم يجب عليها وضعت يدها على صدره تحاول أن تتحسس نبضات قلبه، ثم أمسكت كفه اليمنى وعندما لمست ما فيها من برودة تدل على الموت صرخت بأعلى صوتها ورددت عبارات الرثاء الممزوجة بالحسرات، وقبل أن تمتلئ الدار بالجيران والجارات الذين هرعوا إلى بيتها كانت قد وضعت فوقه ملاءة بيضاء وقالت:"إنا لله وإنا إليه راجعون".

ذاع خبر وفاة الشيخ عبد الرحمن فى المدينة، فتناسى الناس ما بينهم من

خصومات وتركوا النزاع جانبًا، وأقبلوا جماعاتٍ وفرادى إلى بيت الشيخ عبد الرحمن، وشُيّعت جنازته من الجامع الكبير القريب من الشاطئ، وأُقيمت ليلة العزاء فى دار المناسبات الملحقة بالجامع، ورغم مشاركة الجميع فى مراسم العزاء إلا أنهم تبادلوا نظراتٍ تخفى الكثير من الأحقاد والضغائن؛ فلم تكن القلوب صافية.

الفصل السابع

ـ صراع الطامعين ـ

ومرت أيام بعد وفاة الشيخ عبد الرحمن وظهرت مشكلة كبيرة شغلت أهل المدينة، وهى إصرار الحاج عثمان على أخذ صفاء لتعيش فى كنفه وتحت رعايته، ورفضت الحاجة سماح ذلك، فهددها وأسمعها ما تكره فى حق زوجها الذى لم تمر على وفاته إلا أيام قلائل.

وتدخَل عبده الجبلاوى فى الصراع وأعلن عن رغبته فى رعاية صفاء، وروى البعض على لسانه أنه لن يسمح لغيره أن يأخذها حتى لو وصل الأمر إلى القتل.

ويقول العم إمام الراوى إن هشام أبو صابر عاد ليطلب يدها من الحاجة سماح، وتوسل إليها أن توافق ليتم الزواج فى أسرع وقت ممكن،

وعندما عبّرت له عن خوفها، أقسم بالله العلى العظيم أنه قادر على حمايتها وإذا تزوجها سيجبر الجميع على قبول الوضع الجديد، فلديه من قوة وعقل ما يجعله قادرًا على الدفاع عنها.

ويقال إنه طمأن الحاجة سماح والطيبين من أهل المدينة بأن بركة صفاء ستعم الجميع، فهو يحب صفاء حبًا صادقًا لا طمعًا فى مالٍ أو ثروات.

وشهدت المدينة فى تلك الأيام أمورًا عجيبة وغير متوقعة، فقد فوجئ الناس بالأستاذ عبد الوارث التابعى ذلك الرجل المتدين الوقور يعلن عن نيته الزواج من صفاء على سنة الله ورسوله، ويحذر كل من تسول له نفسه الوقوف أمام رغبته المشروعة، وعندما عاتبه الرجل الذى يصلى إلى جواره بعد صلاة الجمعة على تفكيره فى الزواج من صبية صغيرة وهو رجل كبير لديه زوجة فاضلة وذرية صالحة من الأبناء والبنات والأحفاد. رد عليه بأن صفاء الآن فى ورطة، فقد أصبحت محل طمع من الجميع فلا بد أن يتزوجها لأنه أعلمهم بشرع الله وأقدرهم على رعاية صفاء وإكرامها حتى يعم الخير ويعيش الجميع فى محبة ووئام، وأكد للجميع أنه أصلح من يرعاها بعد وفاة الشيخ عبد الرحمن.

ولم يتوقف صراع الراغبين فى صفاء عند هذا الحد، فلقد سمع أهل

المدينة دوى العيارات النارية بالقرب من بيت الشيخ عبد الرحمن وعرف الجميع بعد ذلك أنه شوكت الشرابى أطلق النار فى الهواء ليفض مشاجرة بين عددٍ من الشباب الراغبين فى صفاء، والجميع فى المدينة يعلمون أن شوكت هو الوحيد بينهم الذى يمتلك سلاحًا مُرخّصًا، ولذا فقد كانت لديهم قناعة تامة فى أنه الأقوى فى المدينة وأن من حقه استخدام السلاح كلما استدعت الضرورة ذلك، فكانت عياراته النارية تفرض نفسها على الجميع فى مواقف عديدة.

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد فلقد وجد شوكت الشرابى أن العيارات النارية ليست كافية بالطبع لردع أولئك الطامعين فى جميلة الجميلات صفاء، ولشدة حرصه عليها قرر أن يحميها وعندما سأله العم إمام الراوى:"كيف تحميها؟"، رد عليه دون تردد:"سأتزوجها من أجل مصلحتها ومن أجل استقرار الحياة فى المدينة"، ثم أردف قائلًا:"هذا واجبى وليس من طبعى التأخُّر عن تلبية نداء الواجب".

وهكذا اختلطت الأمور واحتدم الصراع بين الراغبين فى صفاء، ويبدو أن صفاء كانت على علم بكل ما حدث ويحدث فى المدينة، فهى ليست فتاة عادية كغيرها من فتيات المدينة ونسائها، فلقد لاحظ الجميع تدهورًا ملحوظًا فى صحتها، وتراجعًا ملموسًا فى أحوالها المعنوية، ولم

يعد أحد من أهل المدينة ينعم برؤيتها فى الصباح الباكر؛ وكان ذلك بالطبع مصحوبًا بتراجعٍ كبير فى أحوالهم النفسية والمعيشية.

وفى تلك الفترة ظهرت العصبية الزائدة فى سلوكيات الناس، وترددت أخبار عن وقوع العديد من المشاجرات بين الجيران لأتفه الأسباب، ويقال إن الخصومات القديمة عادت تُلقى بظلالها المفزعة على أهل المدينة، وتقول الحاجة سماح إن صفاء لا تريد الخروج من غرفتها، ولم تعد تنشر ابتساماتها الساحرة فى أرجاء المدينة؛ فقلت البركة وظهرت الكآبة على الوجوه.

وفى ظهيرة يوم من أيام الصيف فوجئ الناس بهشام أبو صابر يهاجم عبده الجبلاوى ويطعنه عدة طعنات بالسكين على مرأى ومسمع من رواد السوق القديم، فسقط الجبلاوى صريعًا مُضرَّجًا بدمائه أمام الناس، وبينما هرع الناس يقلّبون جثمان القتيل محاولين إنقاذه، كان هشام يصرخ حتى بُحَّ صوته:"أخذنا بثأرنا من عائلة الجبلاوى"، وظل يرددها وهو يُقهقه كالمجنون، ويقول شبانة النجار إنه رأى فى منامه صفاء تجرى فى شارع السوق القديم وهى تصك وجهها بيديها، فحاول أن يلحق بها ليعرف ما حلَ بها فانتفض من فراشه يتصبب عرقًا، ويقسم بالله أنه قال لزوجته:"ستحدث اليوم كارثة فى السوق القديم"، وهناك

رجل آخر توقع حدوث مصيبة فى السوق القديم وهو بخيت الشيّال، الذى يزعم أن صفاء جاءته فى منامه وقالت إنها لا تجد لها مكانًا تعيش فيه، فعرض عليها أن يعطيها مفتاح بيته فى السوق القديم فرفضت وقالت له إلا السوق القديم وأخذت تجرى وهى تصرخ:«الدم لا، الدم لا»، فانتفض من نومه مفزوعًا، ويقسم بالله إنه قال لرفيق مهنته عرفان: «ستسيل الدماء اليوم فى السوق القديم». وهناك روايات عديدة لأهل المدينة تشبه ما قاله شبانة النجار وبخيت الشيّال، وروايات أخرى يؤكد أصحابها أنهم رأوا صفاء فى مرات عديدة تُخفى وجهها بيديها، وعلى غير المعتاد لم يعد الناس قادرين على رؤية لمعان عينيها، فخيّم الحزن على شوارع المدينة وبيوتها بكل من فيها، ولم تعد صفاء تخرج من بيت الشيخ عبد الرحمن، وتكاسل معظم أهل المدينة عن الخروج إلى أعمالهم وأُغلِقت الدكاكين، وكسدت الأسواق وتدهورت أمور المليونير سعيد الصياد، فقد ذهبت ثروته بعد أن خَسِرت مشاريعه التجارية وشركاته، ولم يتمكن من دفع رواتب العاملين عنده، وسمع الناس والده الحاج عثمان يوبخه ويتهمه بالإهمال والفشل، فاختفى عن الأنظار عدة أسابيع، ثم رآه الناس بعدها يُلقى شباكه فى الماء بعد الفجر كعادته القديمة بحثًا عن رزقه ورزق أولاده.

يحاول إمام الراوى أن يمسح دمعة ترقرقت فى عينيه وهو يقول: "اللى حصل ده غضب من ربنا علينا"، ثم يرفع كفيه إلى السماء يدعو: "اللهم ارفع مقتك وغضبك عنا يا أرحم الراحمين".

الفصل الثامن

ـ هل ضاعت صفاء؟ ـ

يُقال إن المدينة ظلت على هذا الحال أيامًا، أمضّت الناس وأقضّت مضاجعهم بما حدث فيها من مشاجرات ونقاشات صاخبة مصحوبة بأبشع عبارات السباب والإهانات المتبادلة، كانت تنتهى فى كل مرة بمعارك ومناوشات وكر وفر ولم يخلُ الأمر من إصابات وطعن ودماء، وسمع الناس عن أمراض وأوبئة نشبت أظفارها فى أجساد البسطاء أقلُّها ضررًا السُكر وضغط الدم أو الإصابة بجلطة مفاجئة.

وعندما ازدادت الخلافات عن حدّها؛ حاول أهل الحل والعقد من عقلاء المدينة تهدئة الأمور وإصلاح ذات البين دون جدوى، ولسان حال أهل المدينة يؤكد ذلك الاعتقاد الخاطئ"من ليس معى فهو ضدى"،

وكأن كل فرد فى المدينة أصبح يرى نفسه إنه على صواب، ولذا فهو الأجدر برعاية صفاء؛ فسعى الجميع إلى الاستحواذ عليها وأراد كل واحد من المتصارعين أن يأخذها لنفسه دون غيره.

ويبدو أن شوكت الشرابى كان أكثرهم حسمًا فى ذلك الصراع، ولم لا؟ فهو أقواهم بمهابته وشراسة طباعه وسلاحه المُرَخَّص، وبالفعل فوجئ أهل المدينة به يقتحم بيت الشيخ عبد الرحمن، ثم يَخرُج أمامهم جميعًا وفى يده جميلة الجميلات صفاء تمشى إلى جواره طائعةً، وخلفهما الحاجة سماح تتوسل إليه أن يترك لها صفاء، وعندما تأكد شوكت الشرابى من إصرار الحاجة سماح على ملاحقته من أجل صفاء وقف أمام الجميع شاهرًا سلاحه مهددًا كل من يفكر فى الاقتراب بالقتل، وعندما لاحظ ملامح الخضوع والاستكانة باديةً على وجوه الناس، أخفى سلاحه فى جيبه، وعلت وجهه ابتسامة عريضة وهو يقول لهم: "أبشروا بالخير واطمئنوا طالما بقيت صفاء معى؛ فأنا الوحيد القادر على رعايتها وحمايتها، وثقوا تمامًا ستعود ابتساماتها الجميلة تملأ المدينة وستحِل بركتها عليكم جميعًا، ستنعمون بالصفاء والرخاء، ولكن اتركوها معى وعودوا إلى حياتكم، سأفعل كل ما بوسعى لإكرامها وإكرامكم".

وبعد أن أتم كلامه أشار إليهم بيديه ثم أخذ صفاء ورحل، وبعد أن

اختفى عن الأنظار تباينت ردود أفعال أهل المدينة: فمنهم من صاح بأعلى صوته مؤكدًا:"ضاعت صفاء!"، ومنهم من تفاءل خيرًا وهلل معبرًا عن فرحته الغامرة ولسان حاله يبوح بما فى صدره:"سترجع أيام الصفاء، شوكت الشرابى سيعيدها إلينا".

وهناك فريق آخر من أهل المدينة أصابتهم حيرة شديدة واختلطت عليهم الأمور بعد رحيل صفاء مع شوكت الشرابى؛ فخبرتهم الطويلة بالحياة وأحداثها جعلتهم لا يثقون ولا يصدقون ما سمعوه، وفى الوقت نفسه يُمنّون أنفسهم بتحقق أحلام عودة بركات صفاء، ولم تكن تلك المواقف فقط هى المعبرة عن ردود أفعال أهل المدينة، فهناك فئة منهم تحت مؤشر عدم الوجود، فهم أناس بلا رأى، وكأنهم ما فرحوا يومًا ببركات صفاء عندما حلت على المدينة وأهلها، ولا حزنوا يومًا على ضياعها.

وهكذا ظل أهل المدينة فى تخبطهم، تحلو حياتهم أحيانًا فيقولون عادت أيام صفاء، وتسوء حياتهم أحيانًا فيقولون ضاعت صفاء.

وفى تلك الفترة تدهورت صحة الحاجة سماح وساءت أحوالها النفسية بعد رحيل صفاء، فكانت لا ترى النوم إلا غرارًا، وكانت تقضى الساعات الطوال فى ليلها ونهارها شاردة الفكر، وكان هذا الأرق يُجهِدها فتأخذها

إغفاءة وهى جالسة فى مكانها، وربما اشتدت عليها هذه الإغفاءة فأسلمتها إلى أن تستلقى وتسلم نفسها للنوم، ولكنه نوم بغيض مصحوب بالألم والخيالات المُفزِعة، فإذا بها تهب مذعورة فزعة لأنها رأت نفسها تهوى فى قاعٍ سحيق مظلم، أو لأنها رأت حيوانًا ضخمًا يطاردها، وأحيانًا كانت تهب مذعورة من غفوتها لأنها رأت صفاء المسكينة عارية فى الطريق تستغيث بها لأن كلبًا مسعورًا ينهش لحمها.

لم تتحمل الحاجة سماح ما يُلاحقها من كوابيس وآلام فقررت أن تفعل كل ما فى وسعها لاستعادة صفاء، فتوسلت إلى كبار المدينة أن يتوسطوا لها عند شوكت الشرابى ليعيد إليها قرَّةَ عينها فلم يستجب أحد لتوسلاتها الممزوجة بعجزها ودموعها، ونصحوها بالصبر حتى تحل بركات صفاء على المدينة من جديد، وحاولوا إقناعها بأنه ليس من المعقول أن نتسرع ونطالب شوكت الشرابى بإعادة صفاء إليها ولا بد من الانتظار، فلعل وجودها عنده فترة كافية يُؤتى ثمرته ويعم الخير ويسعد أهل المدينة جميعهم، وذكَّروها بأنه قد وعدهم بإكرامها.

لم تكن الحاجة سماح مقتنعة بتلك المبررات وفهمت بفطرتها النقية أنهم ضعفاء اضطرّهم ضعفهم إلى خلق الأعذار والمبررات لعدم قدرتهم على استرداد صفاء؛ ولذا قررت أن تذهب بنفسها وتواجه

شوكت الشرابى بمطلبها، وبالفعل خرجت من بيتها بعد ليلة عسيرة لم تر فيها النوم، كان الصباح ما زال ينشر خيوطه البيضاء بعد أن صلى الناس الفجر، وهى تمشى متعثرة بعباءتها السوداء وسمعت فى طريقها صوتًا يشبه صوت زوجها الشيخ عبد الرحمن-رحمة الله عليه- ينادى فى نغمة شجية تشبه الآذان، ويردد كلمات تطالبها بالذهاب لأخذ صفاء وتنصحها بعدم الخوف من شوكت الشرابى، وسمعته يقول وكأنه يؤذِن لإقامة الصلاة:"لا تصدقيه ولا تصدقى أحدًا منهم، كلهم طامعون فى صفاء، كلهم طامعون فى صفاء"، سبحان الله سمعته يقول ذلك وكأنه يقول:"قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة!"، تعجبت الحاجة سماح مما سمعت، وأحست أنه صوت زوجها الحاج عبد الرحمن-رحمه الله- يناديها من العالم الآخر، فزادها ذلك إصرارًا على مواجهة شوكت الشرابى واسترداد قُرّةِ عينها صفاء. كان صوت الشيخ عبد الرحمن الهامس الذى يشبه آذان الصلاة ما زال يُداعب سمعها، عندما وصلت إلى بيت شوكت الشرابى، فوقفت أمام البوابة الحديدية الضخمة وكان شعاع الشمس فى هذا الوقت من الصباح الباكر قد اختلط بأضواء المصابيح التى تعلو البوابة ويكاد يكون قد أخفاها تمامًا، وهى تنادى بأعلى صوتها تطالب شوكت الشرابى بأن يفتح الباب ويخرج إليها، ظلت

تنادى عليه ثم أخذت تدق على الباب بكلتا يديها، ظلت تنادى بأعلى صوتها ودقت الباب كثيرًا بكل ما لديها من قوة، وعندما سمعت صوت كلاب تنبح خلف البوابة الحديدية واصلت الدق على الباب رغم فزعها الشديد، وظلت هكذا فترة طويلة ولكنها لم تجد أى استجابة فخارت قواها وسقطت مغشيًا عليها أمام البوابة، ويبدو أنها بقيت مُلقاة هكذا وقتًا طويلًا، وعندما أفاقت من غفوتها كانت الشمس تضرب بأشعتها الملتهبة كل الأشياء، تلفتت الحاجة سماح وتذكرت ما جاءت من أجله وحاولت أن تنهض من مكانها فاهتزت الأرض تحت قدميها وتصببت عرقًا والمكان يدور من حولها، كانت تنادى بصوتها الهامس:"صفاء، صفاء". وصوت زوجها الشيخ عبد الرحمن ينساب فى عذوبة هامسة وكأنه يؤذن لصلاة الفجر:"الصفاء يأتى بعد الموت، الصفاء يأتى بعد الموت"،"أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله"، رددتها الحاجة سماح وهى تلفظ أنفاسها الأخيرة.

وفى العاشرة صباحًا وجدوها جثة هامدة أمام البوابة الحديدية لبيت شوكت الشرابى، وكان الناس قد احتشدوا من كل حدب وصوب لمعرفة ما حدث، ويقول من حضر تلك الحادثة إن شوكت الشرابى قد خرج إليهم غير مصدق ما حدث، وأقسم بالله إنه لا يعرف كيف ماتت

الحاجة سماح ولم يعلم بوجودها أمام بيته، وأصرّ على أن يتكفل بتكفينها ودفنها وأن يتحمل نفقات ليلة العزاء.

ولكن أهل الخير فى المدينة لم يسمحوا له بذلك، فقد حملوها إلى بيتها ثم إلى الجامع الكبير ليصلوا عليها صلاة الجنازة بعد صلاة ظهر ذلك اليوم، وبعد الصلاة شيعها أهل المدينة بالبكاء والنحيب، وتذكروا زوجها الشيخ عبد الرحمن فبكوا أكثر، وذكروا صفاء فبكوا وتحسروا على حالهم وحال مدينتهم.

وبعد أن وضعها أهل الخير والصلاح فى قبرها وبينما كان الشيخ صلاح يُلقى على الناس الخُطبة سمع الناس صوت العيارات النارية مصحوبًا بغبار كثيف يأتى من بعيد، ثم فوجئوا بشوكت الشرابى يأتى نحوهم مهرولًا وهو يهدد ويتوعد ويطلق العيارات النارية فى الهواء، وفهم الناس من كلماته الصاخبة أنه لم يجد صفاء فى البيت، وأنه يتهمهم بتدبير خُطة لخطفها أثناء تشييع جنازة الحاجة سماح، وقف المشيعون فى ذهول وهو يهدد ويتوعد ويمهلهم يومًا واحدًا لإعادة صفاء إلى بيته وإلّا فسوف يجعل حياتهم جحيمًا، وقف الناس فى ذهول بعد أن وقعت عليهم كلمات شوكت الشرابى كالصاعقة، وأدركوا أنهم مقبلون على أيام صعبة بعد اختفاء صفاء، ليس بسبب تهديدات شوكت الشرابى

فحسب، بل بسبب اختفاء أيقونة البركة والسعادة صفاء، فالجميع يعلمون أن اختفائها كارثة ولعنة بكل المقاييس، فكيف ينعم أهل المدينة بالحياة بدون صفاء؟!

الفصل التاسع

ـ اتفقوا على ألّا يتفقوا ـ

وكعادة أهل المدينة اختلفوا فى الآراء والمواقف وردود الأفعال، رغم أن الشيخ صلاح حذرهم من الخلاف وقال لهم إنه سبب كل مشاكلهم، ولكنهم اختلفوا وكأن الخلاف ميراث أزلى يفرض شره على المدينة وأهلها، أما عن سبب الخلاف فى تلك المرة فلأن البعض من أهل المدينة يرى أن شوكت الشرابى خدعهم جميعًا وكذب عليهم عندما ادّعى اختفاء صفاء، لأنه يريد أن يستأثر بها لنفسه فقط لينعم وحده بحلول بركتها عليه وعلى أقرب الناس إليه، والبعض الآخر من أهل المدينة يرى أن شوكت الشرابى صادق وعنده حق فى كل ما قاله، لأنه يريد الخير للمدينة وأهلها ووجود صفاء عنده يضمن حلول بركتها على

الجميع، فهو الوحيد القادر على حمايتها، ويرى أصحاب هذا الرأى أن المجرم الذى استغل ظروف موت الحاجة سماح وقام باختطاف صفاء لا بد أن يلقى جزاءه هو وكل من ساعده فى ذلك، وكالعادة لم يقتصر الخلاف على رأيين فقط، فهناك فريق ثالث من أهل المدينة يرى أن شوكت الشرابى هذا لم يخدع الناس، وفى نفس الوقت لا يوجد مجرم استغل وفاة الحاجة سماح وقام باختطاف صفاء، بل إن صفاء نفسها هى التى لم تعد تطيق البقاء فى تلك المدينة، ولذا فلقد انتهزت فرصة انشغال الشرابى وجميع أهل المدينة بوفاة الحاجة سماح فتسللت خارجة من بيت شوكت الشرابى.

"من يدرى فلعلها خرجت من بيوتنا جميعًا ومن حياتنا إلى غير رجعة!"، يتساءل أحد المتشائمين، فيقاطعه شاب متمسك بالأمل:"ستعود إلينا صفاء"، فيُعّقب رجل ذو خبرة:"لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، لا بد أن نغير أنفسنا حتى تعود إلينا صفاء".

وفى تلك الأيام لم تتوقف الأمور على تلك الحوارات بكل ما فيها من توافق أو اختلاف، فلقد شهدت المدينة ما لم تشهده فى تاريخها من صراع، وتسبب الخلاف فى الرأى بين أهل المدينة إلى خصومات، وتحولت مناقشات عادية بين الناس إلى تشابك بالأيدى ووصل الأمر

فى بعض الأحيان إلى وقوع إصابات خطيرة.

والأدهى من كل ذلك أن الأخبار تواترت عن تشكيل مجموعة مسلحة من أهل المدينة تساعد شوكت الشرابى فى البحث عن صفاء وملاحقة ذلك المجرم الذى اختطفها!

ومجموعة أخرى لا تقل عنها تسليحًا تلاحق شوكت الشرابى وأعوانه وتتهمه بإخفاء صفاء فى مكان مجهول ليخدع الناس ويستأثر وحده بأسرار بركاتها.

وهكذا ساد التوتر وعمّ القلق، وذاق الناس شظف العيش ومرارة المعاناة، وصار الشعراء والمنشِدون يتحسرون على أيام صفاء فى سهراتهم، وكانت كلماتهم وأغانيهم تحمل بين طياتها كل معانى الحسرة والأسى على أيام صفاء وما كان فيها من رغد العيش، ولم تعد الأسمار تجمع الجيران كسابق عهدهم.

وكعادة أهل المدينة كان كلٌ طرفٍ منهم يُحمِّل الطرف الآخر مسؤولية ما حدث، ولم يجرؤ أحد على الاعتراف بأخطائه مما زاد الأمور تعقيدًا.

يقول العم إمام الراوى إن المدينة عاشت فترة من الزمن بلا صفاء، فساءت أحوال الناس فشكا الضعفاء من المظالم ولم يجدوا من ينصفهم.

الفصل العاشر

ـ عودة الأمل ـ

يزعم شاب طيب فى المدينة أنه سمع صوت صفاء يناديه عند الفجر فخرج متلهفًا للقائها، وكان صوتها الندى ينساب فى نغمة جميلة تشبه الآذان ينادى هذا الشاب ويدعوه للذهاب إلى شاطئ النيل، فأسرع إلى هناك فرأى صفاء تسبح بالقرب من الشاطئ، فسألها لماذا تركت المدينة؟ فقالت له:"ضاع الصفاء من قلوبكم وشغلتكم المطامع والأحقاد فتركتكم تذوقون مرارة نواياكم السيئة".

كفكف الشاب بيده دمعة ترقرقت فى عينيه وهو يتوسل إليها أن تعود، فردت بصوتها الذى يشبه الآذان:"لن أعود إلا بعد أن تصفو القلوب"، وظلت ترددها بصوت ملائكى يشبه صوت الآذان فى الحرم:"لن أعود

إلا بعد أن تصفو القلوب، لن أعود إلا بعد أن تصفو القلوب". اقشعرَّ بدن الشاب وهو يسمع صوتها المُنساب بالقرب من النيل، فأقسم لها بالله العلى العظيم أنهم نادمون، ووعدها بأن يفعل ما فى وسعه للإصلاح وتصفية القلوب من الضغائن، فردت عليه بصوتها الساحر الذى تحمله نسائم الفجر فيمس شغاف القلب:"لن أعود إلا إذا أتى جميع أهل المدينة إلى الشاطئ بقلوب صافية وضمائر نقية، وأقسموا بالله العلى العظيم على أن ينزعوا ما فى قلوبهم من ضغائن، وأن يتركونى عندما أعود حرةً فى المدينة حتى تعم البركة الجميع".

أقسم الشاب بالله العلى العظيم أن يبلغهم شروطها، وأن يقنعهم جميعًا بتنفيذ مطلبها العزيز، فوعدته أن تنتظرهم فى نفس هذا المكان بعد أسبوع وبالتحديد فجر الجمعة، وفجأة اختفت صفاء بين أمواج النهر ووقف الشاب مندهشًا وصوت صفاء يتردد صداه فى المكان.

فى تلك اللحظة كان المصلون قد فرغوا من التسبيح والدعاء فى ختام صلاة الفجر، وفوجئوا بهذا الشاب يدخل إلى المسجد ويقص عليهم ما حدث، ويرجوهم أن يصدقوه، فأشار إليه الشيخ صلاح وأجلسه بجواره وطلب منه أن يُعيد عليه ما حدث، فحكى له بالتفصيل منذ أن سمع صوت صفاء تناديه عند النيل إلى ذلك الشرط الذى وضعته

وعليهم أن ينفذوه حتى تعود إليهم صفاء ببركاتها.

ظل الشيخ صلاح ينظر إلى ذلك الشاب الطيب، ثم حذره من الخداع والكذب وذكّره بأنه فى بيت الله، وأن ما قاله سيترتب عليه أحداث جديدة فى المدينة، ولو كان ما قاله غير صحيح ستسوء الأمور أكثر فى المدينة، فأقسم الشاب الطيب بالله العلى العظيم أنه سمع صفاء وأنه توسل إليها أن تعود، وأنها اشترطت أن يأتى أهل المدينة فجر يوم الجمعة إلى الشاطئ بقلوب صافية وضمائر نقية، وأن يقسموا بالله على أن ينزعوا ما فى قلوبهم من ضغائن وحقد، وأن يتركوها إذا عادت حُرّةً فى المدينة حتى تعم بركتها على الجميع.

اقتنع الشيخ صلاح بما قاله الشاب، وبدأ يفكر فى طريقة يجمع بها أهل المدينة معًا ليدعوهم إلى ذلك الموعد المرتقب مع جميلة الجميلات وصاحبة البركة والكرامات حبيبة قلوبهم جميعًا صفاء.

لم يكن أمام الشيخ صلاح إلا أسبوع واحد، وعليه أن يقنع الناس بأن يكونوا على قلب رجل واحد، وأن ينزعوا ما فى قلوبهم من ضغائن لبعضهم البعض، وبالفعل بدأت جهوده بالتعاون مع العم إمام الراوى وعدد من أهل المدينة وشبابها الطيبين، فمنهم من زار الناس فى بيوتهم وأخبرهم بالأمر، ومنهم من ذهب إلى الناس فى مواقع أعمالهم

فى الهيئات الحكومية والشركات والأسواق، حتى أصحاب الورش والدكاكين وسائقى السيارات وجدوا من نقل إليهم شروط صفاء للعودة، فى خلال ثلاثة أيام كان الخبر قد انتشر فى كل أرجاء المدينة، فكثرت الأحاديث والروايات كعادة أهل المدينة، فمن الناس من يزعم أن الأمر ما هو إلا محاولة من الشيخ صلاح لإصلاح ذات البين، والبعض الآخر يظنها خدعة قام بها ذلك الشاب الذى يزعم أنه رأى صفاء وتحدث إليها، يقصد من ورائها أن يضلل الجميع حتى ينفرد هو وحده بصفاء، ويقولون لعله هو الذى استدرجها أو اختطفها من بيت شوكت الشرابى، ويخشى آخرون أن يكون الشاب قد وقع بين براثن إحدى الجنيّات التى تمثلت له فى صورة صفاء وقلدت صوتها كبداية لخداع أكثر يزلزل أركان المدينة.

وهكذا تناقل الناس فى تلك الفترة نبأ صفاء وشروطها وموعدهم معها فجر الجمعة، وكانت أحاديثهم مصحوبة بمخاوف وروايات عجيبة، ولذا فقد بذل الشيخ صلاح وأعوانه الطيبون جهودًا مضاعفة لإقناع الناس وإصلاح ذات بينهم، ولأن أهل المدينة أناس طيبون بالفطرة رغم كل ما حدث بعد غياب صفاء فقد تأثروا بأحاديث الشيخ صلاح ونصائحه، فلانت قلوبهم ونسوا أو تناسوا ما بينهم من خصومات،

وهيأوا أنفسهم للذهاب فجر الجمعة بقلوب صافية وضمائر نقية إلى شاطئ النيل لاستعادة صفاء وتغيرت أحوال المدينة وأهلها كثيرًا قبل موعدهم المرتقب، فامتلأت المساجد بالمصلين ورفع الناس أكف الضراعة يدعون الله أن يفك الكرب عنهم وأن يعيد إليهم صفاء بالخير والرزق والبركة.

وفى فجر يوم الجمعة احتشد أهل المدينة فملأوا الجامع الكبير والساحة المحيطة به والميدان المواجه له من الجهة الشرقية، وارتفع صوت آذان الفجر يبث الخشوع والأمل فى نفوس الناس، وتقدم الشيخ صلاح فصلى بالناس ركعتى الفجر ودعا الله فى القنوت أن يرفع مقته وغضبه عن المدينة وأهلها، وأن يرزقهم صفاء القلوب ونقاء الضمائر، وبعد انقضاء الصلاة، احتشد أهل المدينة على اختلاف مذاهبهم، حتى شوكت الشرابى كان واقفًا بينهم مرتدينًا ثوبًا أبيض رافعًا كفيه إلى السماء يدعو الله أن تعود صفاء إلى المدينة.

وعند الشاطئ كانت أمواج متلاحقة من الناس تملأ المكان وأصواتهم تتعالى أشبه ما تكون بأصوات الحجيج يوم عرفة، وبذل الشيخ صلاح جهدًا كبيرًا فى تهدئة الناس حتى تبدأ مراسم البحث عن صفاء، وكان الناس قد تعاهدوا على نسيان ما بينهم من خصومات، ثم رفعوا أيديهم

ورددوا فى صوت واحد: «نُشهِد الله العلى العظيم على أننا جئنا بقلوب صافية وضمائر نقية، ندعو الله عز وجل أن يُعيد إلينا صفاء وأن يرزقنا الخير كله، ونقسم بالله على أننا سنتركها حرّة لتعم بركتها الجميع دون أن يستأثر بها أحد لنفسه دون غيره».

ظل الناس يرددون هذا الدعاء، وفى المرة الثالثة رأوا صفاء تسبح فى النيل وتقترب من الشاطئ، هلل الناس وكبروا عندما أشرقت ابتسامتها الجميلة فى نفس اللحظة التى بزغت فيها الشمس فى السماء وكأنها تُطالع هذا المشهد العظيم، ثم خرجت صفاء من النيل بين التهليل والتكبير وزغردة النساء، فاستبشر الناس خيرًا، وتسابقت البنات والنساء للترحيب بها، وتدافع الشباب والشيوخ لرؤيتها، فطلبت منهم أن يتركوهاَ حرّةً كما أقسموا، عندما عرض عليها شوكت الشرابى أن يستضيفها لتقيم عنده دون أن يستأثر بها لنفسه رفضت، وقالت سأقيم فى بيت الشيخ عبد الرحمن وزوجته رحمة الله عليهما، وافق الجميع حتى لا يفقدونها مرة أخرى.

لم يمر على وجود صفاء فى المدينة إلا أيام معدودة، ولكن أسرار بركتها غطت أهل المدينة، فانتعشت الأسواق وبوركت الأرزاق، وعاش الناس فى وئام ومودة، وعادت العلاقات الطيبة إلى سابق عهدها، وتم الصلح

بين عائلتى أبو صابر والجبلاوى وتناسيا ما بينها من ثأر، وعاد سعيد الصياد إلى حياة الثراء من جديد، ونَعِمَ أهل المدينة بالصفاء وراحة البال واستعادوا ذكرياتهم الجميلة.

الفصل الحادي عشر

ـ الطبع يغلب التطبُّع ـ

وكعادة أهل المدينة لم يكفوا عن الروايات المتناقضة حول صفاء!
الحق يُقال: بعض الناس فى المدينة هدأت قلوبهم بعد عودة صفاء، ولم يشكّوا لحظةً واحدة فى أنها صفاء التى عرفوها من قبل بجمالها ومرحها وسحر ابتسامتها، ولذا كانوا حريصين على المرور كل صباح أمام بيت الشيخ عبد الرحمن-رحمة الله عليه- لعلهم يحظون برؤيتها والتبرك ببركتها، ومن كان يسعده الحظ ويمر من أمام البيت لحظة وقوفها فى الشرفة يرقص قلبه طربًا ويستبشر بالخير والرزق الوفير، أما سعداء الحظ الحقيقيون فهم أولئك الذين يتصادف مرورهم أمام البيت لحظة خروج المصلين من صلاة الفجر، ففى ذلك الوقت تخرج صفاء لتتنسم

هواء الفجر المنعش وتنشر فى شوارع المدينة ابتساماتها المصاحبة لنور الصباح وقت شروق الشمس.

وهناك أناس آخرون لا يصدقون كل ما يقال عن صفاء، بل يكذّبون حقيقة عودتها إليهم، ويزعمون أن تلك الفتاة التى خرجت لهم من النيل ما هى إلا خدعة ساحرٍ ماكر يريد أن يتسلط على عقولهم، أو لعلها جنيّة من العالم السُفلى تدبر لخراب مدينتهم، ويرى أصحاب هذا الرأى أنهم يجب أن يتخلصوا منها، حتى لو استدعى الأمر قتلها وإلقاء جثتها فى النيل.

وهكذا بدأت الصدور تُخفى من جديد النوايا السيئة، وانقسم الناس فى المدينة، فمنهم قسم يثقون بأن الله قد أكرمهم بوجود صفاء وأن عليهم رعايتها وإكرامها وحمد الله وشكره على ما رزقهم عن طريقها من خير وبركة، وقسم آخر لا يثقون بها ويعتقدون أنها ابتلاء من الله لهم وأن عليهم الحيطة والحذر والتخطيط للتخلص منها.

ومع مرور الأيام تحولت نظرات الريبة المتبادلة بين الفريقين إلى كلمات تنم عن سوء الظن والعداء الدفين، ثم ازدادت أمورهم سوءًا ووقعت بعض المناوشات بين أولئك وهؤلاء، وسمع الناس عن حدوث تشابك بالأيدى بين عائلة الجبلاوى وجيرانهم القدامى عائلة أبو صابر

مما يُنذِر بعودة الثأر والدم إلى المدينة من جديد.

ويبدو أن الشيخ صلاح خشى أن تصل تلك الأخبار السيئة إلى صفاء فترحل عنهم، فذهب إليها بدافع الخوف عليها وعلى مصلحة المدينة، وترجّاها أن تذهب معه إلى بيته، وأقسم بالله أن وجودها عنده ليس طمعًا فيها إنما حرصًا على سلامتها، فرفضت وذكّرته بأنها اشترطت عليهم أن يتركوها حرّة وألّا يسعى أحدهم للاستحواذ عليها، وعندما لاحظ الشيخ صلاح ما بدا على وجهها من غضب وهى تتحدث، اعتذر لها ودعا الله أن يحفظها وأن يحفظ المدينة من الفتن.

وبعد خروج الشيخ صلاح من عندها دق الباب ذلك الشاب الطيب الذى التقى بها عند الشاطئ وقام بنقل شروطها لأهل المدينة، وعندما فتحت له تصبب العرق من جبهته خجلًا وتلعثم كثيرًا وهو يعرض عليها رغبته فى الزواج منها، ويتوسل إليها أن تذهب معه إلى بيته الجديد على شاطئ النيل لأن الأمور فى المدينة لم تعد مستقرة ولا بد من وجود رجل يحبها بصدق ويعرف قيمتها ويقدر على حمايتها، ورغم ما بدا عليها من تعاطف ممزوج بالشفقة على هذا الشاب الطيب إلا أنها همست إليه بصوتها الدافئ الحنون تذكّره بأنها اشترطت عليهم أن يتركوها حرّةً حتى يعم الخير جميع أهل المدينة، تلعثم الشاب الطيب

أكثر وهو يعتذر لها ويحاول أن يُلمّح لمخاوف وأخطار جعلته حريصًا على وجودها معه، ليس لأنه يتمنى الزواج منها فقط وإنما يخشى عليها وعلى مستقبل المدينة وأهلها.

وهكذا عادت أمور المدينة إلى سابق عهدها قبل عودة صفاء، وسعى الكثيرون إلى الزواج من صفاء: منهم عشّاق لعب الغرام بعقولهم قبل قلوبهم، ومنهم مثاليون يزعمون أنهم حريصون على حمايتها من أجل استقرار المدينة، ومنهم انتهازيون كلُّ هدفهم مصالحهم الشخصية.

والجديد أن هناك فريق من الناس يخططون لقتلها وإلقاء جثتها فى النيل لأنهم يعتقدون أن وجودها هو سبب كل ما هم فيه من كوارثَ.

وهكذا عادت من جديد المشاجرات الصاخبة فى المنطقة القريبة من بيت صفاء ولا يدرى أحد هل تلك المشاجرات سببها عشّاقها أم المتربصون لقتلها أم أولئك الطفيليين الباحثين عن مكاسب وقتية من خلال الصيد فى الماء العَكِر؟

وفى ليلة من ليالى الشتاء حاول أحد المهووسين من العشاق اقتحام بيت صفاء؛ فعلا صراخها تستغيث بالجيران، وفى لحظات احتشد الناس حول بيتها ثم سمع الناس أصوات عيارات نارية فتراجع الجميع وهم يشاهدون شوكت الشرابى يمسك بالشاب المهووس ويلقنه أمام الجميع

درسًا فى فنون الضرب العشوائى المصحوب بأقذع الشتائم والسباب والاتهامات، وعندما سقط الشاب مغشيًا عليه كانت رصاصة الرحمة قد استقرت فى جبهته فجحظت عيناه وهو يحلم بحبيبته صفاء.

وبعد أن حمل الناس الشاب القتيل تناقضت الآراء وتعددت الروايات كعادة أهل المدينة، فمنهم من يراه شهيدًا ضحى بروحه من أجل صفاء باعتبار جميلة الجميلات صفاء حلمٌ جميل يتمناه الجميع فى المدينة، وهناك رأى آخر يرى أنه مجرم وقد أخذ جزاءه الرادع ليكون عبرة لكل من تسول له نفسه أن يتجاوز الحدود فى أحلامه من أجل صفاء.

أما شوكت الشرابى فلم يكن مهتمًا بتلك الآراء والروايات فهو يرى أنه أمام مهمة صعبة للغاية، وهى إقناع صفاء بالعودة إلى بيته حرصًا على سلامتها ومن أجل استقرار المدينة، أو حرصًا على مكاسبه الخاصة كما يهمس البعض سرًا.

وفى مساء اليوم التالى لمصرع الشاب المهووس، ذهب شوكت الشرابى إلى بيت صفاء وحاول إقناعها بالذهاب معه، فذكّرته بأنها اشترطت عليهم أن يتركوها حرّة، فأكد لها أنه يذكر ذلك جيدًا ولكنه يريد أن يؤدى واجبه لحمايتها وهذا لن يتم إلا إذا أقامت عنده فى بيته، أما إذا وافقت على الزواج منه فستكون الأمور أفضل بكل تأكيد،

مرت لحظة صمت كانت صفاء خلالها تنظر إلى وجهه وتتأمل قسماته الصارمة ثم تنظر بطرف عينيها إلى ذلك السلاح المُختفى فى جرابه، وإذا بها تقترب منه وتهمس إليه بكلمات تنم عن تقديرها لكل ما يريد أن يفعله لحمايتها، وطلبت منه أن ينتظرها على شاطئ النيل عند الفجر، وقالت إن هذا الاقتراح يضمن لها حرية الاختيار عند الذهاب معه، وحتى لا يقول الناس فى المدينة إنه أخذها غصبًا تحت تهديد السلاح، وبعد لحظات من التردد والتفكير وافق شوكت الشرابى وخرج يُمّنى نفسه بصفاء وبكل ما يترتب على وجودها معه من خيرات.

الفصل الأخير

ـ ثمة أناس ما زالوا يبحثون ـ

وبعد صلاة الفجر خرجت صفاء فى ثوبها الأبيض مُتجِهةً إلى شاطئ النيل، كان الفجر يرسل أشعته الفضية على سطح الماء وغصون الأشجار تتمايل مع نسمات الهواء العليل، وزقزقة العصافير كانت قد امتزجت بأحاديثهم الهامسة؛ فاستبشر الناس خيرًا وتسابق العشّاق من الشباب فى الترحيب بها والمزاح معها، ومن بعيد وقف بعض المتربصين بها يتحينون فرصة ملائمة للتخلص منها، وعلى بُعد خطوات قليلة من الشاطئ وقف شوكت الشرابى متأهبًا لما ستفعله صفاء أمام الجميع، وهو يتوقع أن تذهب معه باختيارها وبكامل حريتها أمام جميع أهل المدينة.

يزعم بعض الناس ممن حضروا فى ذلك اليوم أنهم سمعوا صوتًا يشبه صوت الآذان فى الحرم، يردد فى نغمات شجيّة وكأنه يعاتبهم:"ضاع بينكم الصفاء، ضاع بينكم الصفاء"، وظل يرددها فى نغمة تشبه آذان الصلاة، ويقول بعض الناس إنهم سمعوا ذلك الصوت الذى جاء من العالم الآخر فرقت قلوبهم ويقول آخرون إنهم لم يسمعوا شيئًا بالمرة!

وبعد لحظات مليئة بالترقب فوجئ أهل المدينة بصفاء تشق زحام المحتشدين مُتجهةً إلى الشاطئ فى خطوات هادئة، ثم تهبط إلى البحر وتختفى تحت الماء وسط ذهول الجميع!

تدافع المحتشدون على الشاطئ وعيونهم مصوّبة فى الماء تبحث عن صفاء، وصاح البعض انتظروا لنرى ماذا ستفعل، وأطلق شوكت الشرابى عدة طلقات فى الهواء وهو يجرى هنا وهناك على الشاطئ وعيونه تكاد تقفز من وجهه إلى الماء.

وعلا صراخ الفتيات وقفز عدد كبير من الشباب إلى البحر للحاق بها ولم يجدوا لها أثرًا، وبعد أن أضناهم التعب، فوجئوا بشىء غريب تحت الماء يدفعهم إلى الغرق؛ فخرجوا مذعورين من النهر وألقوا بأجسادهم المُنهَكة على أرض الشاطئ.

وبعد لحظات تجمعت السحب الداكنة فاختفت الشمس وغطّى المكان

ظلام حالك أشد من ظلام الليل، واختلطت الأصوات التى تنادى صفاء بصراخ فتيات أصابهن الفزع من صوت الطلقات النارية فى الظلام.

ومرت على المدينة أيام وشهور وسنوات، والناس يحتشدون عند الشاطئ كلّ يوم للبحث عن صفاء ويقال إنهم تعرضوا لحوادث كثيرة عند الشاطئ، أشبه بتلك الحوادث المفزعة التى نسمع عنها فى عالم الجن والعفاريت!

وكانت أصعبها تلك الليلة التى شيعت فيها المدينة العشرات من أبنائها الذين طفت أجسادهم فى وقت واحد على سطح الماء، يبدو أنهم دفعهم الطموح إلى محاولة جماعية للبحث عن صفاء تحت سطح الماء؛ فغرقوا جميعًا فى تلك الليلة السوداء.

وكعادة أهل المدينة رددت ألسنتهم روايات عديدة عن أولئك الغرقى، قال البعض إنهم جازفوا بأنفسهم فى مغامرة غير مأمونة العواقب فماتوا، وقال آخرون إنهم سمعوا فى صوت واحد صوت صفاء ينساب مع نسمات الليل الهادئ يدعوهم إلى الغوص فلبوا النداء، ولأنهم لا يجيدون الغوص فى الأعماق ماتوا جميعًا، ويردد البعض سرًا أن هؤلاء الغرقى ما هم إلا ضحايا شوكت الشرابى، الذى أحصى أعداءه وخصومه من بين أولئك الذين لا يثق فى ولائهم، وقتلهم جميعًا فى ليلة واحدة، ثم

ألقى الجثامين فى النهر.

ولم تكن تلك الحادثة هى الوحيدة، فقد كانت هناك حوادث أخرى اهتزت لها المدينة، آخرها مصرع سعيد الصياد الذى وجده الصيادون مذبوحًا على الشاطئ عند الفجر، وإلى جواره أشلاء آدمية لعدد كبير من الرجال والنساء، قيل إنهم بعد أن فقدوا الأمل فى عودة صفاء إلى مدينتهم اختاروا الموت عن طريق الانتحار؛ فألقوا بأنفسهم بين الأمواج لتنهش أجسادهم كائنات غريبة أشبه ما تكون بوحوش ضارية تعيش تحت الماء!

وبسبب تلك الحوادث؛ ساءت أحوال الناس بشكل لم يعهدوه من قبل، وردد الناس فى مجالسهم روايات وأخبار عن تلك الحوادث المفزعة التى ملأت قلوبهم رعبًا وأبعدتهم كثيرًا عن حلمهم الغالى.

ورغم كل ما يتردد من أحاديث وروايات عن الفزع،

يقول العم إمام الراوى:

«ثمة أناسٌ فى المدينة ما زالوا يبحثون عن صفاء حتى الآن».

....

شكر وتقدير

أشكر أستاذ/ عمر الحضري - مدير النشر بدار فصلة

على ما ألهمني من طاقة إيجابية ساعدتني كثيرًا

في إنجاز روايتي، وأشكر جميع القائمين على دار فصلة

على دورهم في الارتقاء بثقافة القارئ من خلال إصدارات

الدار المتنوعة، وإلى الأمام دائمًا بإذن الله تعالى.

محمد السعيد جمعة

الكاتب في سطور

محمد السعيد جمعة

من أبناء محافظة الشرقية

روائي وقاص صدر له:

حكايا الزمن الأخير - مجموعة قصصية - دار فصلة.

اللامرئيون- رواية - دار فصلة.

تفاصيل ما قبل القتل – رواية - دار النسيم.

حاسة الموتى - مجموعة قصصية - دار النسيم.

قالت وردة - مجموعة قصصية - الهيئة العامة للكتاب.

حكايتي مع التوحد - سيرة ذاتية - دار النسيم.

mhamdalsaydjmt٨٨@gmail .com



تواصل معنا :

01067000701

E-mail -: Fasla .Pub@Gmail .com

Facebook .Com/Fasla .Pub